المحاضرة الخامسة نظريات نشأة اللغة

1-نظريات نشأة اللغة:

اهتم علماء اللغة بموضوع نشأة اللغة هذا للوقوف على أصولها وتاريخ ظهورها واختلف الرأي حولها، إذ يزعم البعض أنها توقيفية وحي من الله علمها للإنسان، وآخرون اتفقوا على أنها اصطلاحية توافقية، وعن جماعة أخرى زعموا أنها محاكاة لأصوات الطبيعة. فالآراء على اختلافها لها انتقادات مالم تُثبت هذه النظريات صحة ببراهينها لا يسقطها أثار اللغوي في المخطوط والمنقوش.

1. نظرية وحي وإلهام:

يزعم أصحاب هذه النظرية أنّ نشأة اللغة وحي وإلهام نزل على الإنسان فعلمه النطق وأسماء الأشياء، والذين قالوا بهذا الرأي من القدماء علماء من غير العرب الفيلسوف اليوناني هيراكليت Héraclite، وفي العصور الوسطى ابن فارس في كتابه الصاحبي، وطائفة من علماء العصور الحديثة وعلى رأسهم لامي Lami في كتابه " فن الكتابة" "L'Art de parler"، " والفيلسوف دو بولند De Boland في كتابه "التشريع القديم " " Législation primitive ".[1]

دلائلهم على ذلك عقلية وأخرى نقلية فبعضهم يحتمل التأويل والبعض الآخر يبقى مجرد رأي لا دليل له. اعتمادا على قول الله تعالى: (علم آدم الأسماء كلّها) إلاّ أن هذه الآية لم تصرح بنزول اللغة كلّها، لقول ابن جني: "فاللغة فيها أسماء وأفعال، وحروف، وليس يجوز أن يكون المعلّم من ذلك الأسماء دون غيرها مما ليس بأسماء، فكيف خصّ الأسماء وحدها."[2]

ورأي آخر لا يختلف عن الأوّل منهم قول الغرب الذي ورد عنهم:" والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول، وجميع طيور السماء، ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كلٌّ منها الاسم الذي وضعه له الإنسان".[3] أصحاب هذه النظرية غفلوا مسألة نشأة اللغة.

2. نظرية المواضعة:

أهل هذه النظرية ذهبوا إلى أن أصل اللغة مواضعة وإتقان، إذ تقرر أنّ اللغة ابتدعت واستحدثت بالتواضع، و الاتقان و ارتجال ألفاظها ارتجالا، كان رأي الفيلسوف اليوناني ديموكريت

[1] - ينظر علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص97

[2] - ابن جني، الخصائص، 32،33

[3] - ينظر علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص97

Démocrate في القرن الخامس ق ب، وعيرهم في العصور الوسطى الكثير من الباحثين في فقه اللغة، ومن المحدثين الفلاسفة آدام سميث **Adam Smith** ،و ريد **Reid** ، ستيوارت **Stewart** .[4]

ردا على هذه النظرية أنّها من دون سند عقلي ولا نقلي أو تاريخي.

هذا رأي أيّده ابن جني؛ ذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة، قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً إذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز من غيره وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله.[5] ردا على هذه النظرية؛ وإذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده والانطواء على القول به. و يبرهن بقوله : فاللغة فيها أسماء وأفعال وحروف وليس يجوز أن يكلم المعلم من ذلك الأسماء دون غيرها: مما ليس بأسماء فكيف خص الأسماء وحدها قيل: اعتمد ذلك من حيث كانت الأسماء أقوى القبل الثلاثة ولا بد لكل كلام مفيد من الاسم وقد تستغني الجملة المستقلة عن كل واحد من الحرف والفعل فلما كانت الأسماء من القوة والأولية في النفس والرتبة على ما لا خفاء به جاز أن يكتفى بها مما هو تال لها ومحمول في الحاجة إليه عليها.[6]

إنّ ما تقرره نظرية المواضعة يتعارض مع نواميس العامّة التي تسير عليها النظم الاجتماعية فلا يتضح من هذه النظرية انّها تولد بالمواضعة هذا لأنّ التواضع على تسمية الأشياء يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها الواضعون.[7]

تطبيق: هل اللغة توقيفية ام توفيقية اي عن التوافق؟

[4]- ينظر علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص97

[5]- ابن جني، الخصائص /1/ 16

[6]- المرجع نفسه

[7]- ينظر علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص98